الباب الثانى

آثار العنوسة

٤٠

أمام هذا التعدد وتنوع الأسباب التي أفضت إلى تفشي هذه المشكلة فقد أفرزت العديد من الآثار التي تهدد المجتمع الإسلامي،وتؤثر في تماسكه فقد جمعت هذه البلية إضرار ومخالفات دينية و دنيوية:

أولا : آثارها الدينية

تعطيل مقصود اللّه في الخليقة:

وهو استخلاف الناس في الأرض كما قال الله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) أي يخلف بعضكم بعضاً جيلاً بعد جيل وهذا الاستخلاف وتلك الوراثة لا تكون إلا بوجود النسل والذرية التي بابها الحلال هو الزواج: فتعطيل الزواج مخالفة لمقصود الله ولمراده.

ب- مخالفة أمر الشارع الحكيم:

الذي أمر بتزويج الأبكار، وحث الشباب على المسارعة في الاعتصام بهذا الأمر المحبب إلى الشارع فالوصول بالمرأة أو الرجل إلى هذا الحال فيه مخالفة لصريح القرآن وصحيح سنة

المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ يقول الله تعالى في محكم تنزيله (وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ والصالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضلِهِ وَاللهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ) والايم من الرجال : من لا زوجة له، و من النساء من لا زوج لها.

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فانه له وجاء.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، واعلم أني أموت في آخرها يوما، ولي طول على النكاح لتزوجت مخافة الفتنة ويقول الإمام احمد ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير الزواج دعاك إلى غير الإسلام.

لذلك قال عمر لرجل لم يتزوج: ما يمنع الرجل عن الزواج إلا عجز أو فجور .

ج- تقليل عدد المسلمين، ومخالفة أمر الرسول الأمين: فقد قال عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم: تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الأمم.

د- غلق أبواب الخير والأجر على العبد: أي أن الرجل والمرأة التي لم تتزوج يحرمان أجر التربية الحسنة للأولاد، ويحرمان أجر حسن المعاشرة، وحسن التبعل من المرأة لزوجها، فقد روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا للنبي : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور: يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به: أن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعرف صدقة ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله، آياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به الإنسان

قضاء حق الزوجة و معاشرتها بالمعرف كما يحرمان من الولد الصالح الذي يبرهما في حياتهما، ويدعو لهما بعد موتهما، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له.

هـ- إغلاق أبواب الرزق: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء.

ثانيا: آثارها الدنيوية:

تخلف العنوسة آثاراً سيئة تظهر جلياً سواء على المرأة أو على الأسرة أو على المجتمع وسنفصل كل على حدة فلا تظنه تكراراً.

آثارها على المرأة : ويمكن تقسيم آثار العنوسة السلبية على الفتاة إلى أربعة :

الآثار النفسية :

الشعور بالإحباط والحرمان: فقد جعل الله تعالى فطرة المرأة تميل إلى الالتقاء والأنس بشريك حياتها أسوة ببنات جنسها، وعدم ممارسة هذا الحق وحرمانها منه يؤدي إلى أصابتها بالإحباط وخيبة الأمل فمن حق الفتاة أن تكون أماً ، فهذه أمور فطرية ، فالله سبحانه وتعالى أقام هذا الكون على ظاهرة الزوجية ، أي الازدواج كما جاء في القرآن الكريم: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ وأيضا في آية أخرى وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، أي أن هناك ذكر وأنثى في الحيوان والإنسان وحتى النبات فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، لذلك ربنا لما خلق آدم لم يدعه وحده فخلق له من نفسه زوجا ليسكن إليها.

العدوانية:

فالعانس تلقي باللائمة على رجال المجتمع الذين اعرضوا

عنهـا، وتشـعر بالغـيرة مـن بنـات جنسـها المتزوجات،لهـذا تنظـر للمجتمـع نظـرة حسـد وحقـد وكراهيـة تعـبر عنهـا بسـلوك عصبـي وعـدواني اتجـاه الأفـراد.

العزلة والانطواء:

ملاحقـة الأنظـار للفتـاة العانـس، ومجاملتهـا بتمنـي زواجهـا وتفضيـل العزلـة أو مصاحبـة مـن هـم في مثـل وضعهـا عـلى المشـاركة العامـة في المجتمـع.

حرمان الإشباع الفطري :

أي العجـز عـن تلبيـة حاجـات ونـداءات الفطـرة، فمشـاعر الأمومـة والحـب الزوجـى والجنـس مـن صميـم فطـرة كل فتـاة، فيهـا الرحمـة والمـودة والمتعـة والسـعادة، وعـدم الـزواج يحـرم العانـس مـن جميـع الآثـار الصحيـة للحيـاة الجنسـية الشرعيـة والمتعـة المباحـة.

فقدان التوازن النفسي:

حيـث تصـاب الفتـاة بنـوع مـن عـدم التـوازن في شـخصيتها،

و يظهر ذلك في سلوكها المتناقض في تعاملها مع الآخرين، وحتى وان تزوجت في وقت متأخر فإنها تستمر في مشاعر الضيق و التبرم من المجتمع ، بما في ذلك الزوج و الذي يجب حسب اعتقادها ، أنه لا يشعرها أبدا بالفضل و المنة عليها لأنه تزوجها .

ب) الآثار الاجتماعية:

التسرع في الزواج: وذلك للخلاص من شبح العنوسة بغض النظر عن التكافؤ أو مناسبة الزواج ، بل قد تقبل بعض العوانس الزواج العرفي أو الزواج منقوص الحقوق مثل زواج المسيار .

ج ـ الآثار الأخلاقية:

الانحراف الأخلاقي :

قد تندفع العانس في حالة غياب الوازع الديني إلى تلبية حاجاتها الغريزية وإشباع رغباتها الجنسية بإقامة علاقات منحرفة ، فتقع في رذيلة الزنا التي حرمها الشرع الإسلامي،

قال تعالى: والزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله ! أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل الله نداً وهو خلقك ، قلت : ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك من أجل أن لايطعم معك قلت ثم أي ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك.

التأمر والكيد :

فمشاعر الحقد والحسد قد تدفع الفتاة العانس إلى تدبير المؤامرات للتنكيد على من هم سعداء ومستقرين في حياتهم الزوجية .

التبرج:

وذلك في محاولة البعض منهن محاولة ساذجة لجدب أنظار الرجال إليها عسى أن يلمح أحد جمالها ومواقع الفتنة فيها فيقدم على الزواج منها.

السلوك الإجرامي:

وذلك بقبول الصور المنحرفة والمشوهة للعلاقات الإنسانية للتعويض عن المفقود، ومنها اللجوء إلى الشذوذ وتناول المسكرات والمخدرات، وقد يؤدي ذلك إلى التفكير فى الانتحار .

د ـ الآثار الصحية :

قد ينتج عن العنوسة آثار ومخلفات صحية كالتوتر العصبي الدائم وما يتولد عنه من أمراض ضغط الدم والمزاج العصبي الثائر، وأمراض جنسية والتي غالباً ما تنتج عن الكبت والممارسات والعادات الجنسية غير السليمة.

التوتر العصبي الدائم : وما يتولد عنه من أمراض ضغط الدم والقولون وقرحة وحموضة المعدة والمزاج العصبي الثائر .

الأمراض الجنسية : وغالباً ما تنتج عن الكبت والممارسات والعادات الجنسية غير السليمة .

اختلال وظائف الغدد : فالتوتر والاكتئاب الدائم يؤديان إلي إضعاف النشاط الحيوي والذهني للجسم وبالتالي إضعاف المستوى الصحي بشكل عام .

أخرى : ومنها إدمان المنبهات أو المسكنات ، أو الإصابة بمصاعب الزفاف أو مشاكل المعاشرة بعد الزواج .

آثار العنوسة السلبية على المجتمع :

أ ـ أثارها الاجتماعية :

قلة النسل:

إن الإنجاب مطلب شرعي ومقصد أساسي من مقاصد الزواج ، والعنوسة تنفي هذا المطلب من أساسه وبهذا نكون قد خالفنا أمر رسولنا الكريم ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.

التفكك الأسري:

بسبب المشاكل الناتجة عن تحميل كل طرف مسؤولية

هـذا الوضـع ، واتهـام الفتـاة والدهـا أو أخوهـا بالذنـب ،أو بسـبب أنانيـة الأهـل وتخليهـم عـن رعايـة الفتـاة العانـس لانشـغال كل فـرد بمسـؤولياته وحياتـه الخاصـة .

ضعف الروابط الاجتماعية:

فعـدم الـزواج يحـرم المجتمـع مـن العديـد مـن الروابـط الاجتماعيـة التـي تربـط النـاس برباط المصاهـرة والنسـب، ناهيـك عـن غضـب بعـض الأسر مـن أقاربهـم نتيجـة عـزوف شـبابهم عـن الـزواج مـن بناتهـم .

انتشار الزواج العرفي:

أوغـيره مـن أنـواع الـزواج ، كـزواج المتعـة وزواج المسـيار، وذلـك بسـبب فقـدان الأمـل فى الـزواج الشرعـي المعلـن ، وهـذا منهـي عنـه في ديـن الإسـلام ، فقـد روي أن علياً رضي الله عنـه قـال لابـن العبـاس : إن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم نهـى عـن المتعـة زمـن خيـبر إذ تنعكـس ثـمار الـزواج عـلى المجتمـع ككل في نزاعـات بين أطرافه.

الطلاق :

فاندفاع الفتاة العانس إلى الزواج غير المتكافئ للخلاص من واقعها، وقد يحدث ذلك من جنسيات وأديان أخرى ، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى الطلاق.

ب- أثارها الأخلاقية :

انتشار السفور والتبرج:

حيث إن مجاهرة بعض العوانس بسفورهن وتبرجهن قد تدفع العديد من النساء خاصة الفتيات الصغيرات إلى تقليدهن وإظهار مفاتنهن وان اختلفت الغايات، وهذا يقود إلى مجتمع متسيب في مظهره العام.

انتشار الفساد:

والظواهر الأخلاقية المنحرفة نتيجة سقوط بعض العانسات في دوامة الانحلال، ووجود فئة من الرجال تشجع هذا الانحلال.

اصطياد الشباب :

بشتى الوسائل الممكنة وذلك بغرض إيقاعهم في حبائل التعلق بالفتاة باعتبار أن هذا السلوك قد يجلب زوجاً في نهاية المطاف .

ج ـ أثارها الاقتصادية :

البطالة:

فالفتاة العانس قد تضطر إلى العمل أحياناً لتامين مستقبلها، وغالبا ما تستمر فيه لفترات طويلة، وتقبل بأي عرض وظيفي يقدم لها، وهو ما يكون على حساب الشباب في العمل.

زيادة التكاليف:

لمداواة الأمراض والانحرافات التي تصيب أفراد المجتمع، وتحمل مؤسسات الدولة مصاريف إضافية لدعم المؤسسات الصحية والإصلاحية والقضائية والتي تنشغل بإفرازات هذه الظاهرة .

وضع وحالة الأسرة النفسية والسلوكيَّة:

ـ الأب:

تمتـدُّ هـذه التداعيـات لتشـمل علاقـة الأب بابنتِـه العانـس، فينهـج في تَعامُلِـه معهـا طريقـةً مـن بـين ثـلاث طـرق:

١ - فإمَّا التغاضي عن هذه المشكلة.

٢ - وإمـا التشـدُّد والعنـف في تعاملـه مـع ابنتـه، وتشـديد الرَّقابـة عليهـا؛ لأنَّـه يظـنُّ - لا شـعوريًّا - أنَّ في ابنتـه شـيئًا مـا خطـأً، جعـل الآخريـن يَعْزِفـون عـن التقـدُّم إليهـا.

٣ - وإمـا يـتَرْك لهـا الحبـل عـلى الغـارب؛ بدعـوى أنَّ كثـرة خـروج ابنتـه ورؤيـة الآخريـن لهـا قـد يدفـع أحـدَ الشـباب إلى الاقـتران بهـا.

ـ الأُم:

وبينـما يكـون هـذا حـال الأب، فـإنَّ الأم تعيـش هـذه المشـكلة

بكامل طاقتها وعصبيَّتها وقلقها واكتئابها؛ فهي كأمٍّ تَشعر بعمق أحاسيس ابنتها، وتعيش حلم أن ترى ابنتها في عُشِّ الزوجيَّة، وأن ترى أحفادها، ومن ثَمَّ فقد تنتابُها حالاتٌ من الاكتئاب، وقد تلجأ إلى السَّحَرة والدجَّالين؛ ظنًّا منها أنَّ ابنتها معمول لها عمل، وقد تلجأ إلى الدلاَّلات لتعرض عليهنَّ مشكلة ابنتها، مع وعْدِهن بمكافأة سخيَّة إذا أحضرن لابنتها عريسَ المستقبل، غير أن الأمَّ في بعض الأحيان قد يكون إيمانها قويًّا، فتقوم بالتخفيف عن ابنتها، وحثِّها على الرضا بقضاء الله.

ومما ينتج عن هذا العَضْل والتعسُّف: فواتُ فرص الزواج من الأَكْفاء، أو فواتها كليًّا بسقوط الفتيات في العنوسة، التي غالبًا ما تكون لها عواقبُ وخيمة عليهنَّ وعلى علاقتهن بالمجتمع، ومن هذه العواقب: اللُّجوء إلى الشَّعوذة؛ اعتقادًا منهنَّ أن هذه الفتاة مسحورة بسِحْر صَرف الخُطَّاب عنها، أو سحر منعها من الزَّواج طول حياتها.

الأخت الصغرى غير المتزوجة:

أما الأخت الصُّغرى، فلا شك أنَّ مشاعرها تكون مبهمةً وغامضة، وقد تهيِّئ نفسها لتكون في الوضع ذاته، وتعيش نفس المأساة أيْ: لا تتزوَّج مثل أختها وقد تتفنَّن في ابتكار طرقٍ مختلفة لجذب أنظار الشباب، والدُّخول في علاقاتٍ آثِمة مع بعضهم؛ ظنًّا منها أنَّه إذا وقع المحظور، فإنَّ هذا يضمن لها الفوز بعريس المستقبل، وألاَّ تُواجه نفس مصير شقيقتها.

خطورة العنوسة بالنسبة للأسرة:

تُحْدِثِ العنوسة آثاراً نفسية سيئة على كل أسرة فيها عانس، حيث يشعر أفرادها بالهم والغم، بل الخزي والعار في بعض المجتمعات، حيث الخوف من نظرات الناس وتفسيرها بغير معناها واعتبارها نوعًا من الاتهام لهم ولبناتهم، مما يؤثر بصورة سلبية على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع .

خطورة العنوسة بالنسبة للمجتمع:

يؤدي انتشار ظاهرة العنوسة لأخطار شديدة على

المجتمعات، إذ يحدث تفكك وتحلل في المجتمع، وتنتشر الأحقاد والضغائن بين أفراده، كما ينتشر الفساد والرذائل والانحرافات، التي تندفع إليها بعض الفتيات في ظل الدوافع النفسية التي يعانين منها،كما تنبت وتترعرع في ظل مشكلة العنوسة بعض العادات الجاهلية؛ كالسحر والدجل والشعوذة ، ظنا من البعض أن هذا سيؤدي الى حل المشكلة كذلك يسود المجتمع نوع من التفكك والتوتر في العلاقات الاجتماعية ومن ثم تحدث مشاكل اجتماعية في المجتمع أي فقدان الصلة والروابط والعلاقات الاجتماعية الحميمة بين الناس.

الأضرار الاقتصادية لتأخر الشباب عن الزواج:

الشعور بغياب الهدف والدَّافع للعمل والإنتاج، مِمَّا سيؤدِّي بدوره إلى إضعاف قوى الشَّباب، والتقليل من إنتاجه، ومن ثَمَّ يَظْهر تأثيرُ ذلك سلباً على اقتصاد الأمَّة؛ بسبب قلَّة الإنتاج، وعدم الشُّعور بالمسئولية.

٥٨